مجلة الرائد

العدد : ١٩٦ الموافق في رمضان ١٤١٨ هجري ١٩٩٨/١ ميلادي

عنوان المقال : واقع الخطاب الإسلامي في الغرب !	بقلم : متولي موسى

توجه الخطاب الإسلامي في الغرب في أول الأمر إلى الطلاب ، ظناً أن هذا القطاع - للاعتبارات الثقافية والفكرية - هو الأهم في التوجه إليه بالخطاب ، وأملاً في التأثير المستقبلي لأبنائه عند العودة إلى البلاد الإسلامية ، وفي القدرة على خدمة الإسلام في الغرب إذا قدر لبعضهم الاستيطان... ثم ظهر الاهتمام بفئات العمال في الخطاب الإسلامي في الغرب في مرحلة تالية ، ثم ظهرت مؤسسات الجالية الإسلامية في الغرب ، والتي توجهت بخطابها إلى أبناء الجالية مع اهتمام نسبي بالأسرة والأجيال التي ولدت في الغرب ، وفي السنوات الأخيرة ، وبسبب الهجوم المتزايد ، ظهرت في الخطاب الإسلامي اهتمامات بالحوار مع غير المسلمين ، بقصد التعريف بالإسلام والإجابة على الأسئلة المطروحة من قبل الآخرين ، ويمكن إيجاز مراحل تطور الخطاب الإسلامي والملاحظات عليها على النحو التالي :

أولاً : مراحل تطور الخطاب الإسلامي في الغرب

يمكننا تمييز أهم هذه المراحل من خلال أهداف الخطاب كما يلي :

١- **المرحلة الأولى :** وكانت أهم الأهداف في هذه المرحلة :

أ- **الحفاظ على هوية الوافدين** ، والحيلولة دون انحرافهم وذوبانهم في المجتمع الغربي ، وتأهيلهم للرجوع إلى البلاد التي وفدوا منها ، ليكونوا أعضاءً فاعلين في مجتمعاتهم التي قدموا منها .

ب- **مشاركة الأمة المسلمة والحركة الإسلامية هموم البلاد والعباد** ، والعمل على مساعدة الشعوب الإسلامية في تحقيق آمالها بحصولها على حريتها السياسية وقدرتها على التعبير عن آمالها وتطلعاتها ، وذلك بالتعبير بلغات البلاد الأم .

ويلاحظ على الخطاب الإسلامي في هذه المرحلة ما يلي :

أ- عدم وجود تعاون بين الفعاليات الإسلامية في الغرب ، وربما نشأ بين بعض الفعاليات - بسبب الانتماء - تضارب ونزاع .

ب- انصبت الأنشطة - سواء كان ذلك في الخطب أو النشرات والمجلات والبيانات - على الاهتمام بالقضايا الإسلامية الكبرى في العالم الإسلامي ، وتهمشت الأنشطة التي تحتاج إليها الجالية في الغرب .

٢- **المرحلة الثانية :** وظهرت في هذه المرحلة أهداف جديدة بالإضافة إلى أهداف المرحلة السابقة ، وهي :

أ- **محاولة نشر وترسيخ مبادئ الإسلام** وتقديمه كبديل حضاري إنساني ، والاهتمام بالجالية المسلمة في الغرب - وخاصة الأجيال الجديدة - والاهتمام بالمسلمين الجدد من أبناء الغرب .

ب- **تأكدت ضرورة الحوار بين المسلمين وغير المسلمين** ، وقامت مؤسسات بفتح أبوابها ، ونظمت لقاءات لتحقيق ذلك .

ويلاحظ على الخطاب الإسلامي في هذه المرحلة ما يلي :

أ- بالرغم من أن حركة الترجمة للكتب الإسلامية إلى اللغات الأوروبية قد ازدهرت في هذه الفترة ، إلا أنها لم تغط الحاجة وليست بالمستوى المناسب ولا بالدرجة المطلوبة .

ب- ما زالت الكوادر البشرية ذات الفعالية والكفاءة غير متوفرة ، والعمل في سبيل تكوينها يحتاج إلى جهد جبار ، ودعم مادي ومعنوي...

٣- **المرحلة الثالثة** : وهي التي بدأت منذ سبع سنوات تقريباً ، أي مع أزمة الخليج الثانية ، والتي استبان فيها ضرورة تمتع الخطاب الإسلامي في الغرب بمواصفات تمكنه من الآتي :

أ- **التصدي للحملات المغرضة** التي تعمل بكل السبل والوسائل لتشويه صورة الإسلام والحركة الإسلامية ، وتقديم الصورة الحقيقية والواقعية للإسلام الذي أنزله الله تعالى رحمة للعالمين .

ب- **تفعيل أنشطة الاتصال والتربية** التي تعمل على تنشئة ناشئة المسلمين في الغرب على الإسلام ، والمحافظة على الشخصية الإسلامية .

جـ- **إيجاد المدارس ومحاضن التربية** التي تقدم العلوم الشرعية والثقافية الإسلامية بالأسلوب الملائم .

د- **تنشيط مؤسسات الخدمات** التي تساعد الجالية المسلمة في التغلب على عقبات الحياة ، وإزالة العوائق التي تحول بين المسلمين وبين تحقيق غاية وجودهم .

هـ- **إيجاد وإنشاء برامج تأهيلية** وتكوينية للموهوبين والمختصين بحيث يمكن تكوين شبكة اتصال فاعلة من خلال وسائل الاتصال العصرية مثل " الإنترنت " لخدمة المسلمين وغير المسلمين .

ويلاحظ على الخطاب الإسلامي حتى هذه المرحلة مايلي :

أ- مازال الخطاب - في معظمه - محصوراً في بُعد واحد هو بعد الكلمة : سواء الكلمة المسموعة في الخطبة أو الدرس أو اللقاء المباشر ، أو من خلال شريط مسجل ، أو الكلمة المقروءة في رسالة أو مجلة أو صحيفة أو كتاب .

وإذا أضفنا إلى ذلك جمود الاجتهاد ، والفرار من صراع عالم الشهادة وتبعاته التزاماته ، إلى عالم الأحلام والمثاليات الخالي من أية تبعات والتزامات ، لتبين لنا مدى الهوة بين واقع الخطاب الإسلامي وما ينبغي أن يكون عليه !!!.

ب- أما الأساليب التي قُدم من خلالها هذا البعد من الخطاب ، فقد تمثلت في المواقف الشخصية ، والعرض الوصفي للمشكلات ، والوعظ والإرشاد ، والترغيب والترهيب ، وإن كانت بعض الفعاليات في السنوات الأخيرة أدخلت أسلوب الحوار والجدل داخلياً وخارجياً ، وذلك في طرح ومعالجة المشكلات الآنية ، دون استشراف المستقبل ووضع برامج خاصة له !.

جـ- إن كثيراً من المشكلات التي تواجه أبناء الجالية المسلمة ترجع إلى غياب التخطيط الذي يأخذ في الحسبان استيطان الإسلام في أوروبا ، أو اعتماد نوع من التخطيط الجزئي يتجاهل الأوضاع الثقافية والاجتماعية للبيئة المحيطة ، أو عدم الالتزام بالخطط المقرة والقفز فوقها مراعاة لظروف واعتبارات عارضة .

د- أما الخطاب الإسلامي المتطور في أبعاده المختلفة ؛كالقصة والقصيدة والتمثيلية والفلم ، واعتماد التجارب العملية ، والمشروعات الثقافية والتنموية كبدائل واقعية أصيلة في الفكر والثقافة والسياسة والاجتماع والإدارة...الخ . فما زالت مشروعات في الفكر وما سطر منها على الورق فلم يخرج إلى واقع التنفيذ ، فالترجمات مازالت محدودة جداً ، ووسائل النشر متواضعة للغاية ، فالأستاذ عصام العطار الذي يعيش في الغرب منذ قرابة ثلاثين سنة ، وهو صاحب رؤية واضحة في عرض الإسلام كبديل حضاري إنساني ، وصاحب تجربة في العمل الإسلامي الحركي منذ أكثر من خمسين سنة ، لم تترجم من أعماله إلا رسالة واحدة هي « أزمة روحية » ترجمت إلى اللغة الفرنسية ، ونطاق نشرها جد محدود .

عنوان المقال : واقع الخطاب الإسلامي في الغرب !	بقلم : متولي موسى

هـ- الإنسان المخاطب وبالنوعية ذات الكفاءة والتخصص مازال نادر الوجود ، علماً بأن وجود مثل هذا المخاطب ضرورة فهو الذي يعتبر الرائد والقدوة ، والذي يكون لسلوكه بالغ التأثير في النفوس والقلوب ، ووجود شبكة العلاقات الاجتماعية ، فالرسالات الحية والتي تأثر بها الناس هي تلك التي وجدت مع وجود القدوات الصالحة...

❋ ❋ ❋

ثانياً : خلاصة وبيان

١- إذا كان عدد المسلمين في أوروبا يمثل رقماً ضخماً - ما بين ٣٥ إلى ٥٠ مليوناً - وإذا كان عدد الفعاليات الإسلامية في الغرب يعد بعشرات الآلاف ، فإن مستوى الأداء وقوة فاعلية المؤسسات لا تزال في مجموعها دون المستوى اللازم للخطاب الإسلامي في الغرب . ولهذا فإن التغيير النوعي في الأداء أصبح ضرورياً لنجاح أي مشروع للخطاب الإسلامي في الغرب .

وإذا كانت أوضاع الفعاليات الإسلامية في الغرب لم تمكنها حتى الآن من تحقيق أهم أهداف الخطاب الإسلامي ، وذلك بسبب ارتباطاتها الرسمية أو الحزبية ، وتوجه معظمها لتحقيق أهداف محددة في بلاد المسلمين ، فقد آن الأوان لبذل جهد أكبر وتخصيص عمل دائم لتحقيق أهداف الخطاب الإسلامي في الغرب ، وتأتي أهمية تنسيق الفعاليات للقيام بعمل مشترك أو موحد في الدرجة الأولى للنهوض بالجالية المسلمة ، إذ أن هذه الأولوية ليست ضرورية لتحقيق مصالح المسلمين في الغرب فقط ، وإنما هي لازمة وضرورية للحفاظ على الهوية والشخصية الإسلامية من خلال التكامل والتعاضد لتحقيق الهدف المشترك ، وفي هذا الصدد علينا أن نأخذ العبرة والعظة من قصة موسى عليه السلام إذ طلب من الله تعالى أن يشد عضده بأخيه كما جاء في القرآن الكريم : { **واجعل لي وزيراً من أهلي ❋ هارون أخي ❋ أشدد به أزري ❋ وأشركه في أمري ❋ كي نسبحك كثيراً ❋ ونذكرك كثيراً ❋ إنك كنت بنا بصيراً** } [طه:٢٩-٣٥] . فأجابه الله تعالى : { **قال قد أوتيت سؤلك يا موسى** }[طه:٣٦] .

٢- إن أفضل المكاسب وأعظمها خيراً ، بل إن الفوز الحقيقي يكمن في الخطاب الإسلامي الذي يستنقذ الناس من الضلال ، قال الله تعالى : { **قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً ❋ إلا بلاغاً من الله ورسالاته** } [الجن:٢٢-٢٣] ، ويقول عز وجل : { **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل**

عنوان المقال : واقع الخطاب الإسلامي في الغرب !	بقلم : متولي موسى

إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته } [المائدة:٦٧].

وسبل تحقيق ذلك إن أردنا الخروج من الواقع الذي صار إليه الخطاب الإسلامي في الغرب ، يكمن في التحول من التفكير الارتجالي القائم على ردود الأفعال ، واستنزاف الطاقات في معارك جانبية أو جزئية ، إلى التفكير البصير ، الذي يدرك السنن النفسية والاجتماعية ويحسن التعامل معها من خلال:

أ- معرفة الواقع بدقة وكيف تكون هذا الواقع والدوافع خلفه .

ب- الإحاطة بالإمكانات المتوفرة والظروف المحيطة .

جـ- معرفة وتحديد التكليف الشرعي المطلوب والممكن لكل مرحلة ، في ضوء تحديد التكليف الرباني وواقع المكلفين .

د- الصدور عن القيام بالواجب وعدم الخضوع لعوامل الاستفزاز والإثارة .

هـ- وضوح أهداف كل مرحلة ومرجعيتها .

و- تحديد الأولويات والتدرج في التنفيذ .

ز- حسن الظن بالمسلمين والالتفاف حول العلماء واكتساب الأصدقاء .

حـ- احترام اجتهادات الآخرين والتخلق بآداب الإسلام عند الاختلاف .

ط- الاهتمام بالجميع وإعطاء كل حقه ، مع ضرورة تفعيل عمل المرأة بكل السبل والوسائل .

ك- الوسطية في الدعوة بعيداً عن التطرف والتنطع ، والتزام الحكمة والموعظة الحسنة .

ل- متابعة الأعمال دون يأس ، والتحلي بالصبر الجميل ، واستيعاب أثر الزمن في إنجاز الأعمال .

م- إعادة النظر في المخططات وما تم إنجازه منها ، وذلك بغرض استكمال النقص وتصويب الأخطاء ، وتحديث المخططات لمواكبة تطور الأوضاع واختلاف الظروف .